التراث البحري في الكويت ومنطقة الخليج العربي •

أ. د. عبد الله يوسف الغُنَيْم ۞

دعاني إلى الحديث في هذا الموضوع ذلك التشابه بين دولة الكويت والجمهورية التونسية في مجال العمل الملاحي؛ فالإطلالة البحرية التي تتمتع بها الكويت على الخليج العربي قد أسهمت في نمو البلاد وتوجيه نشاطها الاقتصادي قبل ظهور النفط بها، والأمر نفسه بالنسبة إلى تونس، فقد كان للسواحل التونسية الممتدة من طبرقة في الشمال الغربي إلى رأس جدير في الجنوب الفضل في إعطاء البلاد التونسية بعدها المتوسطي ومكانتها الملاحية ونشاطها الاقتصادي البحري.

وأسهم علماء تونس في التعريف بالبحر المتوسط ورسم أجزائه المختلفة في خرائط تعد من الخرائط البورتولانية الرائدة، وأخص بالذكر أسرة الشَّرْفي التّونسي التي تنتمي إلى أحمد الشَّرْفي الصّفاقسي؛ فمنذ منتصف القرن العاشر الهجري اشتهر عدد من أفرادها بإعداد الخرائط ورسمها خدمة للملاحة التجارية في حوض البحر المتوسط

• محاضرة الألكسو الشرفية قدّمها أ. د. عبد الله يوسف الغُنَيم في قاعة "المملكة العربية السعودية" في المقر الجديد للمنظمة يوم الأربعاء 2 مارس 2016، بعد افتتاح وتدشين المقر بحضور السيد رئيس الجمهورية التونسية يوم 1 مارس 2016.

۞ وزير التربية ووزير التعليم العالي الأسبق، عميد كلية الآداب بجامعة الكويت الأسبق، رئيس مركز البحوث والداراسات الكويتيّة منذ 1992-

والمناطق المتصلة به، وتدل الخرائط التي رسمها علي بن أحمد الشرفي الصفاقسي، المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس والمكتبة البودلية بأكسفورد، على علم دقيق وواسع شهد له من كتب في مجال تاريخ الخرائط البحرية [1].

الإخوة والأخوات:

في بداية القرن السابع عشر توافدت مجموعة من الأسر والقبائل إلى منطقة الكويت قادمة من نَجْد، حيث أدركوا ببصيرتهم الثاقبة أهمية هذا الموقع ومميزاته المكانية كنافذة بحرية مهمة تحتاجها كافة بقاع الجزيرة العربية. ورغم قلّة المياه وشُحّ الموارد الأرضية الطبيعية، فقد تمكنوا من خلال استثمارهم للبحر واقتصادياته أن يخلقوا مجتمعا حضريا له كيانه السياسي الواضح الذي تميز بالاستقرار والازدهار.

ارتكز النشاط الاقتصادي للكويت قبل ظهور النَّفْط على ثلاث ركائز أساسية؛ هي: صناعة السفن والتّجارة والغَوْص على اللّؤلؤ في الخليج العربي. فقد برع الكويتيون في صناعة السفن وطوروا أنواعا معينة من السفن الشراعية التي مكنتهم من السفر الشراعي والقيام بالمهام التجارية عبر الخليج العربي والمحيط الهندي بسهولة ويُسْر. فكانوا ينقلون التمر والخيول والبضائع المختلفة من البَصْرة إلى الهِنْد أو إلى جنوب الجزيرة العربية وشرقي إفريقية، ويعودون من هناك بالأغذية والأقمشة

---

(1) Harley, J.B. and David Woodward (1992) The History of Cartography, Cartography in the Islumic Asian Societies. Vol2, Book one. Chicago, p. 284-287.

والأخشاب وغيرها من المواد الإنشائية إلى الكوايت، التي تستهلك جزءا منها، والجزء الآخر ينقل إلى بادية الجزيرة العربية ومدنها الداخلية.

وقد كانت الكويت لزمن غير قصير وسيطا تجاريّا بين عالم المحيط الهندي والسواحل الشرقية للبحر المتوسط بواسطة القوافل البرية. وأقدم إشارة إلى هذه القوافل الكويتية وردت في كتاب آيفز الطبيب الإنجليزي الذي وصف إحدى تلك القوافل من الكويت إلى حَلَب عام 1758م بأنها تتكون من خمسة آلاف جمل يحرسها ألف رجل [2].

وقد اقتضى ذلك معرفة وعلما بالملاحة وتقنياتها المختلفة؛ فالإبحار عبر المحيط الهندي يحتاج إلى معرفة بخطوط الطول والعرض التي تمر بها السفينة من أجل تحديد موقعها، وتوجيه مسارها، وذلك يقتضي معرفة مواقع النجوم؛ مطالعها ومغاربها، والبروج وحركة الشمس والقمر، ومعرفة الرياح ومهابّها وأوقات هيجان البحر، وغير ذلك من الأنواء التي تدخل في علم الفلك. كما يقتضي معرفة جغرافية بسواحل المناطق المطلة على المحيط الهندي والبحار المتفرعة عنه.

وقد سجل ربابنة هذه المنطقة معارفهم في كتب ومذكرات تداولوها بينهم، يضاف إليها بين وقت وآخر ما يستجد من المعارف الأحدث، حتى اجتمع من كل ذلك تراث يستحق النظر فيه، وتحليله، وتوثيقه ضمن التراث الحضاري الذي تعتزّ به المكتبة العربية.

---

(2) Slot, B.J. (1998); The Origins of Kuwait, Center for Research and Studies on Kuwait, P. 139

وتمثل المرشدات البحرية العربية مصدرًا مهمًّا من مصادر التراث البحري العربي. وقد تداول الملاحون في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر منذ مدّة مبكرة مجموعة من المرشدات التي ضاع أكثرها، ولم يبق من آثارها سوى بعض النصوص التي دَلّت على وجودها. فقد تكلم المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" عن البحار المحيطة بجزيرة العرب فقال: "ودُرت الجزيرة كلّها من القلزم إلى عبادان سوى ما توّهت بنا المراكب إلى جزائره ولُجَجه، وصاحبتُ مشايخ ولدوا ونشؤوا من رُبّانيين وأشاتمة ورياضيين ووكلاء وتجار، ورأيتهم أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده، ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعوّلون عليها ويعملون بما فيها ..." [3].

وابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي وصلت إلينا مجموعة من المرشدات البحرية أبرزها أعمال أحمد بن ماجد المتمثلة في كتابه الشهير "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد"، وقصيدته "حاوية الاختصار في علم البحار"، وغير ذلك من أراجيزه الشهيرة. كما وصلتنا أعمال سليمان بن أحمد المهري الذي وضع كتاب "العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية"، وكتاب "المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر". وعلى هذه المرشدات انتهى علم كثير من الرّبابنة الذين لم تصلنا أعمالهم، وجميعهم قد خدم بمؤلفاته الملاحة العربية في المحيط الهندي والبحار المتفرعة عنه[4].

---

(3) المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ليدن 1906م، ص 10.

(4) نشر فران (Ferrand, G) كتب ابن ماجد وسليمان المهري في باريس بين عامي 1921م و 1925م، ثم حققها ونشرها إبراهيم خوري ضمن إصدارات مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1970م، ونشرها مرة ثانية في رأس الخيمة عام 1989م.

وقد قدمت لنا تلك المرشدات معلومات غزيرة عن طرق الملاحة والموانى الشهيرة والجزر المتناثرة في عرض البحار ومواسم الرياح، وأساليب قياس خطوط الطول والعرض وتحديد موقع السفينة، إلى جانب الإرشادات النافعة لرَبابِنة السّفن عن كيفية الإبحار ودخول الموانى وتوقّي الأخطار وتحديد المعالم التي يهتدي بها نَوَاخِذَةُ السّفن ليعرفوا أين هم من البر ومن الموانى التي يقصدونها، إلى غير ذلك من المعلومات المفيدة.

وقد ظلت أعمال أحمد بن ماجد هي الأكثر تأثيرا في الملاحين الذين أتوا من بعده، وفاق في ذلك سليمان المهري الذي كان قريبا من عصره، ويرجع ذلك إلى تعدد أعماله واهتمامه بصياغة معلوماته الملاحية في صورة أراجيز وقصائد يسهل حفظها وتداولها بين الرَّبَابِنة والملاّحين، ويؤكد ذلك ما جاء ذكره في ترجمة الشيخ عيسى بن حمد بن طريف آل بن علي، من أن من مآثره أنه أمر بنسخ مخطوطات أحمد بن ماجد عدة نسخ أوقفها لخدمة أهل البحر، لعظيم فائدتها لهم في إرشادهم إلى الطرق البحرية البعيدة عن مغاصاتهم التي اعتادوا عليها، وقد تم ذلك في العقد الرابع من القرن التاسع عشر [5].

وقد ظلّ اسم ابن ماجد على ألسنة البحارة في خليج عمان والخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي قُرونًا عدّة بعد وفاته، حتى أن السير ريشارد بيرتون (R. Burton) يذكر في كتابه عن شرق إفريقية أنه لما أبحر من عدن عام 1854م تلا البحارة سورة الفاتحة ترحمًا على روح الشيخ ابن ماجد [6].

---

(5) عبد الله بن حسين بن ناصر آل بن علي: قبيلة آل بن علي (العتوب) في الماضي والحاضر. دمشق 2002م، ص 128.

(6) Tibbetts, G.R (1981): Arab Nabigation in the Indian Oceon befor the coming of the Portuguese. London, p.12

وقد تناقل الرّبابِنة (والمعالمة) العربُ في هذه المناطق تلك النّصائح والإرشادات التي قَدّمها في كتابه "الفوائد"، واستمر ذلك إلى مرحلة اختفاء النشاط الملاحي للسّفر الشّراعي نتيجة ظهور البترول واستخدام التّقنيات الملاحية الحديثة. ونجد أنّ آخر ذكر لأحمد بن ماجد كان عند المعلم منصور الخارجي عام 1939م، فقد ضمّن الرّبان الكويتي منصور إبراهيم الخارجي مرشدَه الملاحي الذي جمعه ووضعه عام 1358هـ/ 1939م نبذة من أقوال أحمد بن ماجد بدأها بقوله: "أقوال الشيخ أحمد بن ماید (ماجد) شيخ عِلْم البحر: بسم الله الرحمن الرحيم، فهذا مختصر في علم البحر من كلام شيخ الأولى عارف البلدان والرّسوم معلم البحرين والبرّين المعلم الشيخ أحمد بن ماید (ماجد) بن محمد بن عمر بن يوسف بن فضل بن حسن بن حسين بن دويك السّعدي ابن أبي البركات النّقدي (النجدي) ساكن قلْ فار (جلفار) وهي طلع من رأس الخيمة، غفر الله لنا وله....[7].

وقد كان الربّان منصور الخارجي يدرّس مَبادئ علم البحر لأبناء جزيرة فيلكان في زمن الصّيف الذي تتوقّف فيه الملاحة الشراعية.

ولم يكن الربّان منصور هو الوحيد الذي تأثّر بأحمد بن ماجد أو نقل عنه، بل إن معظم الذين كتبوا في مجال المرشدات البحرية من أهل الخليج والجنوب العربي منذ عهد ابن ماجد إلى أُفول الملاحة الشّراعية قد استفادوا من نصائحه وإرشاداته، رغم التحوّل الذي حدث في فنّ الملاحة عقب تأثرها بأساليب الملاحة الغربية في

---

(7) أحمد بن ماجد: الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تقديم عبد الله يوسف الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2004م، ص17، 12.

أواخر القرن التاسع عشر، والبدء في استعمال الخرائط الملاحية التي كانت تصدرها الأدميرالية البحرية البريطانية.

وقد وصلتنا بعد أعمال ابن ماجد وسليمان المَهْري ثلاثة من المرشدات البحرية يعود أقدمها إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ فقد عثرتُ في بحثي عن المخطوطات الجغرافية في مكتبة المتحف البريطاني عام 1971م، على مرشد ملاحي، اشترك في نَسْخ مادّته اثنان: الأول منهما مجهول، نسخه تحت عناية مالك الكتاب، وهو سعيد بن أحمد بن خميس بن بريك، وقد فرغ منه في 20 من رجب من عام 1260هـ الموافق 5 من أغسطس 1844م، والثاني يدعى سعيد بن أحمد بن ماطر التمامي، وهو يسبق هذا الكتاب باثنتين وثلاثين سنة تقريبا.

وقد عُثِرَ على هذا المرشد الملاحي في سفينة عربية صادرَتْ حمولتَها السّلطات البريطانية بتهمة المتاجرة بالرقيق، وذلك بالقرب من رأس الحد في الطرف الجنوبي الشرقي من سلطنة عُمان. وقد نقل إلى مكتبة المتحف البريطاني عام 1885م. ويشتمل هذا المرشد البحري على مجموعة من التعليمات والإرشادات البحرية الخاصّة بالملاحة في المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي، ويصلُ في مداه شرقا إلى جزر الفالات (لكالديف حاليا) وجزر الذيب التي تعرف اليوم بجزر المالديف. ويحتوي هذا المرشد على جداول لبيان أطوال وعروض الموانى المختلفة الواقعة على سواحل المحيط الهندي والبحار المتفرعة منه [8].

---

(8) عبد الله يوسف الغنيم: المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة جامعة كمبردج، الكويت، الطبعة الثانية 1999م، ص 86. وانظر أيضا: حسن صالح شهاب: قواعد علم البحر: شرح وتحقيق لمخطوطتين في فن الملاحة البحرية، الكويت 1986م، ص8.

ويصادفنا في فترة معاصرة أيضًا أعمال شخصية اكتسبت شهرة كبيرة في ميدان الملاحة البحرية، وهي شخصية الرُبّان الحضرمي الشيخ سعيد بن سالم باطايع الذي ولد ببلدة الحامي على ساحل حضرموت في جنوب الجزيرة العربية عام 1180هـ/ 1766م، وتلقّى تعليمه على أشياخ تلك البلدة حتى برع في اللغة والفقه. وبدأ نشاطه البحري وهو في سن التاسعة مع والده الذي كان رُبانًا وتاجرًا، وما إن بلغ العشرين من عمره حتى أصبح من أعلام الملاحة البحرية في بحر العرب، وقد امتدّت رحلاته من سواحل شرقي أفريقيا غربا إلى سواحل الهند شرقا.

وقد أودع الربان باطايع تجاربه البحرية في منظومتين؛ نظم الأولى في عام 1217هـ/ 1802م، وعمره آنذاك 37 عاما، وكانت في وصف الطريق من ميناء سيحوت إلى جزيرة زنجبار بشرق أفريقيا، وتقع في 58 بيتًا. ونظم الثانية في عام 1220ه/ 1805م. وهي في وصف الطريق الملاحي من ميناء مسقط بعمان إلى ميناء المُخَا باليمن. والمنظومتان مكتوبتان باللّهجة المحلية وبطريقة بسيطة سهلة الحفظ والتطبيق.

وقد توفي الرُبّان سعيد باطايع عام 1273هـ/ 1856م عن عمر يناهز التسعين، قضى معظمها على متن السّفن الشراعية بَحّارا ومرشدا ورُبّانا يُشار إليه بالبنان[9].

وقد استفاد رَبابنة الكويت من منظومتي باطايع، بل إنّ عيسى القطامي قد أورد في مرشده الملاحي رباعية لم تَرِدْ في مخطوطات المنظومة الثّانية لباطايع وهي قوله:

---

(9) محمد علوي عبد الرحمن باهارون: الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايع، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2012م، ص 33- 35، 76.

حكّـــم قـيـاســك والبـاطـلي تحت راسك
واحذر نـــعـاســـك عن بو الرصاص الغبية[10]

وقد اهتم الغربيون بأعمال باطايع وإرشاداته البحرية، فكتب سارجنت (R . Sargent) عام 1982م دراسة مقارنة باللغة الإنجليزية بين نَصّي المخطوط والمطبوع من المنظومة الأولى لباطايع التي تصف الطريق ما بين سيحوت إلى زنجبار. ونال الباحث الفرنسي ميشيل نيتوه رسالة الدكتوراه عن الملاح باطايع ومنظوماته الملاحية[11].

ولم تكن الكويت بعيدة عن مثل هذا النّشاط العلمي في ميدان الملاحة، فقد وصل إلينا العديد من المرشدات الملاحية التي استلهمت التراث القديم وأضافت إليه الكثير من التفصيلات، ونهض بهذا الأمر عدد من النواخِذة (الربابنة)، وكان من أقدم تلك المرشدات المرشد الملاحي الذي وضعه في منتصف القرن التاسع عشر تقريبا النوخذة إبراهيم بن محمد بن غانم بن عبد الله الغانم، وقد استعان بهذا المرشد نواخذة الكويت في النصف الثاني من القرن المذكور.

وقد نسخ ذلك المرشد لنفسه النوخذة شعيب بن عبد السلام في رجب من عام 1292ه (أغسطس 1875م)، ويذكر الأستاذ حسن صالح شهاب الباحث في التراث البحري أنه اطلّع على أصل مشابه عند الشيخ محمد باعباد، وهو من ربابنة اليمن المشهورين. ولاحظ أنّ النوخذة إبراهيم الغانم قد أضاف إلى نسخته جداول أخرى للطول والعرض لا توجد في نسخة باعباد، نسخها له النوخذة شعيب من

---

(10) عيسى القطامي: دليل المحتار في علم البحار، الطبعة الثانية، مطبعة دار التأليف، القاهرة 1950م، ص 45.

(11) محمد علوي باهارون: الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايع، ص 78.

النوالي (الخرائط) الجديدة، كما أضاف إلى الكتاب أيضا بعض قواعد حساب استخراج الطول والعرض والمساج، وعددًا من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقصيدة لم يذكر ناظمها في وصف رحلة إلى سواحل شرق أفريقيا والعودة إلى بر العرب[12].

وقد نشر هذا المرشد البحري الأستاذ حسن صالح شهاب عام 1986م ضمن السلسلة العلمية التي كانت تصدر عن وحدة البحث والتّرجمة بقسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية تحت عنوان "قواعد علم البحر: شرح وتحقيق لمخطوطين في فن الملاحة البحرية".

ووصلنا بعد هذا المرشد في الكويت مجموعة أخرى كان من أبرزها "دليل المحتار في علم البحار" للربّان عيسى بن عبد الوهاب القطامي الذي ولد في الكويت عام 1870م، وبعد أن ختم القرآن وتعلّم القراءة والكتابة سافر نحو سنتين مع خاله النوخذه ثنيان الغانم، ثم مع خاله النوخذة إبراهيم الغانم (صاحب المرشد الذي أشرنا إليه قبل قليل). وقد استغرقت سفراته معه نحو ثلاث سنين، وتنقّل معه بين سواحل الهند وشرقي أفريقية، وتعرّف مجاري البحار وما يحتاج إليه الربّان في سفره، ولم يبلغ سن الرابعة عشرة إلا وقد أصبح معلمًا متمكنًا من تحديد المواقع الفلكية للسفينة في غب البحار.

وقد عمل في هذه الوظيفة لمدة سنتين مع أحد النواخذة المعروفين في الكويت، ثم أصبح ربانًا ومعلّمًا في آن واحد[13]، وهذه الرّتبة الجامعة هي التي تميّز بين

---

(12) حسن صالح شهاب: قواعد علم البحر، ص 12.

(13) مقدمة كتاب دليل المحتار (ترجمة المؤلف)، ص 5.

الربابنة الكبار في ذلك الوقت. وقد استمرّ القطامي في تثقيف نفسه في علم البحر ومجاريه وأحواله بالاطلاع على أعمال ابن ماجد وتراث غيره من الربّابنة القدماء، وكان يطبّق تلك المعارف القديمة على الخرائط الملاحية الحديثة، ووصل بذلك إلى درجة عالية من المعرفة مكّنته من تأليف كتابه " دليل المحتار"... الذي وضعه تلبية لحاجة الناس إلى تلك المعارف فهو يقول في مقدمته: "أما بعد، لما رأيت بعض الإخوان من أهل الوطن كثيري السؤال عن طرق البحار والمجاري، وهم في حاجة لمثل هذا الكتاب النفيس حركتني خدمة الوطن خاصة وخدمة إخواننا المسلمين كافة أن أقوم بقدر الاستطاعة بجمعه، أسأل الله جل وعلا أن يعمّ نفعه، فجمعته من كتب الأقدمين من علماء البحر، وحذفت منه ما طال لفظه وقلّ نفعه، وأوردت بعض المجاري والقواعد المفيدة، وأبقيت ألفاظه كما كانت سابقا بحسب ألفاظنا الاصطلاحية وسميته: دليل المحتار في علم البحار"[14]. وقد أنجز كتابه في عام 1915م لقوله:

خذ ذا دليل البحر قد أرّخته قف واستمع عجبا حوى أودعته

وحساب الشطرة الثانية بحساب الجُمَّل تساوي 1334هـ (1915م). ويبدو أنه قد زاده ونقّحه إلى أن واتته الفرصة لطباعته بمطبعة دار السلام ببغداد عام 1924م، وطبع بعد ذلك عدة مرّات، ويعدّ بذلك أول مرشد بحري يطبعه مؤلّفه في المطابع الحديثة، أي أنه وصلَنا مطبوعا وليس مخطوطا.

ومن الواضح أن عيسى القطامي قد استفاد من المرشد الذي كان عند خاله إبراهيم الغانم. ويذكر الأستاذ حسن شهاب أنه في تحقيقه لكتاب الغانم قد استعان

---

(14) دليل المحتار: ص 7.

بجداول الطول والعرض الواردة في دليل القطامي في استكمال ما في الكتاب من نقص في طول بعض الأماكن وعرضها[15].

وتتابعت بعد دليل القطامي مجموعة من المرشدات التي عثر على بعضها، والبعض الآخر قد فُقِد وطواه النسيان، فمن الواضح أن الكثير من نواخذة السفر ومعالمة البحر كانوا يحتفظون بمذكرات تشتمل على عدد من القواعد المتعلقة بحساب *استخراج الطول والعرض، وطرق القياس بآلة الكمال (Sextant)*، وجداول وعروض الأماكن البحرية وأطوالها، ومعارف مختلفة عن طريق تحديد جهة القبلة في عرض البحر، وإشارات المراكب التجارية، والبروج، وغير ذلك مما يحتاجه المرشد وراكب البحر.

وحينما بدأ مركز البحوث والدراسات الكويتية في جمع التراث البحري ونشره في أوائل التسعينيات من القرن الماضي توفّر للمركز مادة قيمة مما بقي من ذلك التراث، من مثل الروزنامات البحرية، والدفاتر الخاصة بأوزان اللؤلؤ، والرسائل المتبادلة بين نواخذة السفن والتجار، بالإضافة إلى عدد من تلك المرشدات البحرية، التي حرص المركز على نشرها وتقديمها للقراء، توثيقا للتاريخ البحري الخاص بالكويت ومنطقة الخليج العربي، ونذكر هنا منها أربعة من المرشدات البحرية:

الأول: كتاب "القواعد والميل والنتيجة في علم البحر"، وهو من إعداد النوخذة الكويتي منصور إبراهيم الخارجي الذي كان من أشهر نواخذة جزيرة فيلكا الكويتية، كما إنه سليل أسرة أنجبت عددا من نواخذة السفر، منهم والده الذي

---

(15) قواعد علم البحر: ص 12.

تلقّى هو العلم على يديه بالإضافة إلى أخويه، النوخذة رجب، والنوخذة علي الخارجي.

وكانت أصول هذا الدليل أو المرشد مُلْكًا للنوخذة حسين بن علي جناع، وهو أيضا من جزيرة فيلكا، اشتراه منه النوخذة منصور في سنة 1358هـ/ 1939م، وزاد فيه كثيرا من القواعد الملاحية وسمّاه "القواعد والميل والنتيجة وعلم البحر".

وكتابه هذا ليس مؤلفا منهجيا بل هو معلومات دونت في تواريخ متباعدة، بعضها سجل في عام 1344هـ/ 1927م، أي قبل دخول الكتاب في ملكه، والبعض الآخر سُجّل بعد ذلك، وكان آخر ما دوّنه في عام 1362هـ/ 1943م. ويتخلّل الكتاب موضوعات وحوادث شهدها النوخذة منصور في أثناء رحلاته، مثل تاريخ دخول الإنجليز إلى البَصْرة، وخروجهم من عبادان، بالإضافة إلى بعض القصائد. ويتميّز هذا المرشد بضبط عروض البلدان وأطوالها وفق خرائط البحرية البريطانية، كما يتميز بالرسوم الكثيرة المتقنة للمراسي والمناتح وعلامات البرور[16]: وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ حسن صالح شهاب رحمه الله ونشره مركز البحوث والدراسات الكويتية عام 2007م.

الثاني: كتاب رحماني يوسف بن ناصر الخرافي: ولا يختلف هذا المرشد البحري عن المرشدات السابقة مع بعض الإضافات والأمثلة التي استقاها النوخذة يوسف الخرافي من تجاربه الشخصية. فقد بدأ النوخذة المذكور حياته العملية في سنّ مبكرة، إذ بعثه أخوه عبد المحسن ناصر الخرافي إلى الهند، حيث كان والدهما يدير

---

(16) منصور إبراهيم الخارجي: القواعد والميل والنتيجة وعلم البحر، تحقيق وشرح حسن صالح شهاب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2007م، (مقدمة المحقق)، ص 11.

تجارة آل الخرافي في إقليم كيرلا ومدْراس، وهناك تعلم قواعد علم الملاحة والفلك البحري إضافة إلى إجادة اللغة الهندية. وبعد ذلك انتقل إلى ممارسة الحياة البحرية، وتولّى قيادة سفينة شراعية وهو في العشرينيات من عمره، وكانت من سُفن عمّه النوخذة والتاجر المعروف أحمد الخرافي، وكان متقنا لاستعمال آلة القياس (الكمال) وقراءة الخرائط البحرية، حازما في إدارة سفينته وضبط بحارته[17].

وتجدر الإشارة إلى أن النّوخذة الخرافي قد استفاد من المتقدمين، أسوة ببقية المرشدات البحرية المتأخرة، وهو يشير في فصول الكتاب الأولى إلى نَقْله عن أحمد ابن ماجد وعن غيره من علماء البحر المتقدمين. كما أنّ الأبواب الأولى المخصصة لبيان "الغايات والمبادئ، والتقلبات، والثوابت، والنوازل، والجمع، وما يكون الميل عرضه" تماثل من حيث الترتيب والمنهجية ما جاء في المرشد المنسوب إلى النوخذة إبراهيم الغانم. مع بعض الاختلاف في الأسلوب وتعديلات في حساب الدقائق يلاحظها من يقارن بين نصي المرشدين.

وقد حقق هذا المرشد الملاحي أيضا الأستاذ حسن صالح شهاب وشرحه شرحا طيبًا، ونشره مركز البحوث والدراسات الكويتية عام 2004م.

الثالث: رحماني النوخذة عبد الله عبد العزيز البراك، المسمّى الدفتر المترجم في جميع المسائل والمعاني. وقد حرر هذا الكتاب في الخامس من ربيع الثاني 1368ه الموافق 4 من فبراير 1949م. ومعلوماتنا عن النوخذة المذكور محدودة، ومرشده يتفق في معلوماته مع كثير من المرشدات التي سبقته، وبخاصة كتاب "القواعد

---

(17) يوسف بن ناصر الخرافي: رحمانى، تحقيق وشرح حسن صالح شهاب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2004م ص 11.

والميل والنتيجة وعلم البحر" لمنصور الخارجي، غير أنه يتميّز بالأمثلة الكثيرة والتطبيقات، إضافةً إلى اهتمامه بالمنظومات الفلكية، ومنها منظومة الشيخ محمد بن شهوان في حساب النجوم والبروج والشهور الرومية [18]. وقد طبع هذا المرشد بإشراف الدكتور يعقوب يوسف المحّي بطريقة التصوير، ضمن إصدارات مركز البحوث والدراسات الكويتية عام 2010م.

الرابع: الجامع اللّطيف في علم البحر، للنوخذة محمد ماجد سالم المرزوق. وقد ولد هذا النوخذة في مدينة صور بسلطنة عُمان 1921م، وينتمي إلى عائلة اشتهرت بريادة البحر شأن كثير من أبناء ذلك البلد، وقد انتقل إلى الكويت واستوطنها في وقت مبكر وعمل نوخذه مع عدد من أصحاب السّفن الكويتية، وكانت وفاته في الكويت عام 2009م. وقد كتب هذا المرشد بخط جميل وبترتيب خاص يميزه عن غيره من المرشدات. وقد اعتنى بشرحه وتحقيقه الأستاذ الفلكي عادل حسن السعدون الذي قدم توضيحا وتحليلا لكثير من النصوص والقواعد الحسابية والفلكية التي يصعب معرفتها على القارئ المعاصر، واستخدام الكثير من الرسوم الحسابية والفلكية التي تنير السبيل أمام الباحثين وتقربهم من غايات المؤلف ومقاصده

وقد طبع هذا الكتاب ضمن إصدارات مركز البحوث والدراسات الكويتية عام 2011م.

(18) عبد الله عبد العزيز البراك: رحماني (الدفتر المترجم في جميع المسائل والمعاني) راجعه يعقوب يوسف المحي، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2010م، ص 50 - 52.

وبعد، فقد كان ما ذكرناه أحد جوانب التراث البحري في منطقة الخليج العربي، تبيّنا منه ذلك الترابط التاريخي بين المرشدات القديمة وتلك المرشدات الحديثة التي وصلتنا عن القرنين التاسع عشر والعشرين. وذكرنا أثر شيخ البحر أحمد بن ماجد في معظم المرشدات التي جاءت بعده، فقد عُثر على نسخة مخطوطة من كتابه "الفوائد" في الكويت وأخرى في البحرين. وذكر كثير من نواخذة السفر الشراعي المحدثين فضله، وأخذوا بكثير من توجيهاته وقواعده، وأضافوا إليها من تجاربهم العملية نتيجة رحلاتهم التي امتد بعضها لأكثر من ثلاثين عاما، اكتسبوا خلالها معارف شتى سجلوها في مذكراتهم ومرشداتهم، ولم يكن ابن ماجد هو المصدر الوحيد لمعوماتهم، بل كانوا على معرفة جيدة بعلم الأنواء ومعرفة حساب الشهور الرومية ومطالع النجوم ومواقع البروج وغير ذلك مما يدخل في علم الهيئة. وقد أورد النوخذة عبد الله البراك في مرشده الملاحي منظومة محمد بن شهوان الزبيري من علماء النصف الثاني من القرن التاسع عشر[19]، وهي تقع في 82 بيتا، ضمنها الكثير من المعلومات الفلكية النافعة لراكب البحر. ومن الفوائد التي أوردها النوخذة عبد الله البراك ما يتعلق بمعرفة السنة الكبيسة القمرية نقلا عن منظومة للشيخ محمد عفالق المتوفي عام 1750م، وعن كتاب "عُجالة المستعجل في علم الفلك"

---

(19) عبد الله علد الرحمن البسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الطبعة الثانية، الرياض 1419ه. المجلد الخامس، 565 وما بعدها.

للشيخ محمد بن فيروز (توفي عام 1801م)، وكلاهما برع في علم الهيئة والحساب[20].

وتأتي استفادة نواخذة الكويت من هؤلاء الأعلام الذين كان لهم تأثيرهم في المجال العلمي دليلاً على أن علم البحر عند نواخذة الكويت ومنطقة الخليج العربي لم يكن معتمدا على مجرد التجارب الشخصية والممارسة العملية فحسب، بل يعتمد أيضا على مصادر مكتوبة تداولها أولئك النواخذة واستفادوا منها وعملوا بها.

وختاما فإن ما ذكرناه لا يمثل إلا جانبا واحدًا من جوانب التراث البحري في الكويت ومنطقة الخليج العربي، وتتمثل الجوانب الأخرى في السجلات اليومية أو ما يسمى بالروزنامات، والكتب المتعلّقة باللؤلؤ وأوزانه، والتراث الفني العام المتعلق بالبحر، بالإضافة إلى الوثائق الأهلية المتعلقة بالنشاط البحري.

ويشكل كل ذلك مادة ينبغي أن تنال مكانتها اللائقة بها في المكتبة العربية.

---

(20) المصدر السابق، المجلد السادس، ص 236 وما بعدها.